﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: 9]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربـطُ تجلّيات إحـقـاقِ الـحـقِّ وإبطال الباطلِ بـمـدِّ المؤمـنـين بالملائكة المردفين

لمّا بيَّن اللهُ سُبحانَهُ في الآية المتقدِّمَةِ أنَّه يحقُّ الحقَّ، ويُبْطِلُ الباطِلَ، فقالَ ﷻ: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ بيَّنَ ﷻ في هذه الآيةِ أنَّه نصَرَ المسلمينَ عند اسْتِغاثَتِهم، وأمدَّهم بالمَلائكَةِ، وذلك مظهَرٌ مِن مظاهِرِ تَحْقيقِ الحقِّ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾: الغَيْنُ والواوُ والثّاءُ، تدلُّ تصريفاتُها على النُّصرةِ عند الشِّدَّة[2]، يُقالُ: أغاثَهُ يُغيثُهُ؛ إذا نَصَرَهُ على عَدوِّه، وأعانَهُ عليه[3]، واسْتَغاثَهُ: طلَبَ الغَوْثَ، وهو التَّخليصُ مِنَ الشِّدَّةِ، والعَوْنُ على الفِكاكِ مِنَ الشَّدائدِ[4]، ومنه قولُ اللهِ تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، وفي المَثَلِ: "بأمِّه يستغيث اللهفُ"، يقال ذلك لمن اضطرَّ، فاستغاث بأهل ثقته[5].

2) ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾: الجيم والواو والباءُ، تدورُ اشتقاقاتُها علَى مراجعةِ الكلام[6]، ومنه: الجَوابُ؛ إذْ هو خاصٌّ بما يَرْجِع مِنَ الكلام دون المُبْتَدَأِ مِنَ الخِطاب، وهو مقولٌ في مُقابلة السُّؤال، ثُمَّ إنَّ السُّؤالَ نوعانِ: أحدهُما: طلبُ مقالٍ، ويكونُ جوابهُ بمقالٍ مثلِه.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 459/15، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 274/9، والزّحيليّ، التّفسير المنير: 263/9.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غوث).
(3) بطّال الرّكبي، النّظم المستعذب: 120/1.
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (غوث).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (لهف).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جوب).

والآخر: طلبُ نَوالٍ، ويكونُ جوابهُ: النَّوالَ[1]. والاسْتِجابَةُ بمعنى: الإجابَةِ، يقالُ: استجابَ اللّهُ دعاءَهُ، أي: أجابَهُ[2]، ومعناه: قَبِلَهُ[3]، وقَبولُهُ في دعاءِ المسألةِ: يكونُ بإعطاءِ العبدِ سُؤْلَهُ، وقَبولُهُ في دُعاءِ العِبادَةِ: بالإثابَةِ عليه[4].

3) ﴿مُمِدُّكُم﴾: الميمُ والدّال: تَدُلّانِ على جَرِّ شَيْءٍ في طولٍ، واتِّصالِ شَيْءٍ بشَيْءٍ في اسْتِطالَةٍ[5]، والمَدُّ: الجَذْبُ والمَطْلُ والإمهالُ والزّيادةُ[6]، والإمدادُ: إعطاءُ الشَّيءِ حالًا بعْدَ حالٍ، والفِعْلُ مِن ﴿مُمِدُّكُم﴾ ثلاثيٌّ مضعَّفٌ مزيدٌ بهَمْزَةٍ، يُقال: أمَدَّ، وهو واردٌ في معنى التَّقويَةِ والإعانَةِ، ولذا قالَ المُفضَّلُ: "ما كانَ علَى جِهَةِ القوَّةِ والإعانَةِ، قيل فيهِ: أمَدَّهُ"[7].

4) ﴿مُرْدِفِينَ﴾: الرّاءُ والدّالُ والفاءُ، تدلُّ اشْتِقاقاتُها على اتِّباعِ الشَّيءِ، ومنه التَّرادُفُ وهو التَّتابُعُ[8]، وسُمّيتِ النَّفْخَةُ الثّانيةُ رادفةً، في قولِ اللّه جلَّ وعَلا: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النّازعات: 7]؛ لكونِها تَتْبَعُ النَّفخةَ الأولى. وقولُ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، أي: مُتَتابِعينَ، يتبَعُ بَعْضُهُم بَعْضًا[9]، قال الزَّجاج: يأتون فِرقةً بعد فِرقة، وقال الفرّاء: أي: متتابعين، ورَدِفَهُ وأرْدَفَهُ بمعنى واحد[10]، وقيل: عنى بالمردفين، المتقدِّمين للعسكر، يُلقون في قلوب العِدى الرُّعب[11]، وقُرِئَ بفتْحِ الدّالِ ﴿مُرْدَفِينَ﴾[12]، والمعنى: أنَّه فعَلَ ذلك بهم، أي: أرْدَفَهُمُ اللّهُ سُبحانَهُ بغَيْرِهِمْ[13].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اذْكُروا - أيُّها المؤمنون - نِعْمَةَ اللّهِ تعالَى عَلَيْكُم يَوْمَ بَدْرٍ؛ إذْ تَسْتَجيرونَ به مِن عَدوِّكُم،

(1) الرّاغب، المفردات: (جوب).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (جوب).
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: (جوب).
(4) صالح آل الشَّيخ، التَّمهيد لشرح كتاب التَّوحيد، ص: 180.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مد).
(6) ابن سيده، المحكم، والزَّبيديّ، تاج العروس: (مدد).
(7) الواحديّ، التّفسير البسيط: 571/5.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ردف).
(9) ابن الأثير، النّهاية: (ردف).
(10) الزَّبيدي، تاج العروس: (ردف).
(11) الزَّبيدي، تاج العروس: (ردف).
(12) ابن الجزريّ، النّشر: 275/2.
(13) الهرويّ، الغريبين: (ردف).

وتَدْعونَهُ لِلنَّصرِ عليهم، فاسْتَجابَ اللهُ ﷻ دُعاءَكُم، قائلًا: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ مِنَ السَّماء، يَتْبَعُ بَعْضُهم بعضًا[1]، وكان مددُ اللّه تعالى، حين ضاقتْ عليهم الحيَل، وعيَّت بهم العِلَل، فوجدوا نصر اللّه قريبًا، وقد ثبَّت أقدامهم، ودحر عدوَّهم، وأنالهم مرادهم من السُّمعة البهيَّة، والهيبة السَّنيَّة، والغنيمة الرَّضيَّة.

بيانُ استجارة المؤمنين باللّه عند الكَرْب، واستجابته بمددٍ من القوَّة والنَّصر

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### عِلَّةُ فصلِ قَوْلِ اللهِ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهُما من كمالِ الاتِّصالِ، أو شبه كمال اتِّصال، وذلك أنَّ هذه الجملةَ بدلٌ من قولِه سُبحانَهُ قبلُ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 7]، والمُرادُ به بيانُ كراهَتِهم لقاءَ ذاتِ الشَّوكَةِ بشدَّةِ جزَعِهم الَّذي أوجَبَ استغاثَتَهُم باللّهِ تعالَى[2]، وعلى شبه كمال الاتِّصال تكونُ الآية جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ في الذِّهن: كيف أحقَّ اللّه الحقَّ، وأبطلَ الباطلَ، لمّا خرجتم تريدون أنَّ غير ذات الشَّوكة تكون لكم؟

مَنِ استغاث عند الكَرْبِ بمولاه؛ أمدَّه اللّه بعونه وكفاه

### دِلالَةُ إيجازِ الحَذْفِ في قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾:

البدليَّةُ في قولِ اللّه تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، تقتضي أن يُقدَّرَ فعلٌ قَبْلَ ﴿إِذْ﴾؛ لأنَّ البدلَ على نيَّةِ تَكْرارِ العامِلِ، فالتَّقدير: واذْكُروا إذْ تَسْتغيثونَ، وهو الفعلُ الأوَّلُ الَّذي عَمِلَ في قَوْلِه سُبحانَهُ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾[3]، ويجوز أن يَكونَ قولُ اللّه تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ استئنافًا بإضمارِ فعلٍ، تقديرُهُ: (اذْكُروا)، والمعنى: اذْكُروا

تَذْكيرُ اللهِ تَعالَى العِبادَ بالنِّعم؛ لتجديد الشُّكر على وافر الكَرَم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 409/13، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 178.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 200/2، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 231/8، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/4.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 504/2.

إذ تستغيثونَ ربَّكُمْ[1]. وعلى الوجهَيْنِ يكونُ في الآيةِ إيجازٌ بالحذْفِ؛ وذلك بحَذْفِ الفعلِ وفاعلِه، وفي تقديرِ هذا الفِعْلِ - (اذْكُروا) - إيماءٌ للتَّذكيرِ المتجَدِّد.

**دِلالَةُ ﴿إِذْ﴾ في قَوْلِه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾:**

كُلُّ ما أخْبَرَ اللهُ تَعالَى به عنهم؛ فهو واقعٌ لا مَحالةَ منهم

(إذْ) في الأصلِ ظرفٌ للزَّمَنِ الماضي، فقَوْلُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، معناهُ: إذِ استغَثْتُم رَبَّكُم، ويجوز أن تَكونَ (إذْ)، بمعنَى (إذا) لِلْمُستقبَلِ، كالواردَةِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: 70 - 71]، فيكونُ قد عُبِّر عَنِ المُسْتَقْبَلِ بلفظِ الماضي؛ إيماءً إلى تحقُّقِ وقوعِه[2]، والفعل ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ "لم يتعدَّ في القرآن إلّا بنفسه - كما في هذه الآية - وقد يتعدَّى بالحرف، كقول الشّاعر:

حَتَّى اسْتَغاثَ بماءٍ لا رِشاءَ لَهُ *** مِنَ الأباطِحِ في حافاتِه البُرَكُ[3]

**نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ في قَوْلِه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾:**

حَثُّ العِبادِ على الاسْتِمْرارِ في شُكْرِ اللهِ على عطائه المدرار

علَى القولِ بجريانِ ﴿إِذْ﴾ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، على أصلِها في الدِّلالَةِ على الزَّمَنِ الماضي؛ يكونُ في الآيَةِ خروجٌ عَنْ مُقتضَى الظّاهِرِ في التَّعبيرِ بالفِعْلِ المضارِعِ المَوْضوعِ في الدِّلالَةِ على الحالِ أوِ الاستقْبالِ، فلَم يَرِدِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (إذِ اسْتَغَثْتُم رَبَّكُمْ)، وذلك لحكايَةِ الحالِ الماضيةِ استحضارًا لصورَتِها العجيبَةِ، ففيها: تَصْويرٌ لِلاسْتِغاثَةِ، وأنَّها كانَتِ التجاءً مُتَجَدِّدًا مُسْتَمِرًّا باللهِ تعالَى، وفيها حثٌّ على الاستِمْرارِ في شُكْرِهم للهِ سُبحانَهُ، ولِذلك عَطَفَ عليه ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بصيغَةِ الماضي؛ مُسايَرَةً لِلْواقِعِ[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 278/5.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 161/5.
(3) البيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر: القرشيّ، جمهرة أشعار العرب: 325/1، وابن منظور، لسان العرب: 399/10، عبد الله البكريّ، سمط اللّآلي في شرح أمالي القالي: 260/1، والدّميريّ، حياة الحيوان الكبرى: 180/1، والزّبيديّ، تاج العروس: 314/5.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/4، والآلوسيّ، روح المعاني: 161/5، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3075/6. وطنطاويّ، الوسيط: 46/6.

### دِلالَةُ جمعِ ضمير المُسْتَغيثِ في قَوْلِه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾:

تَـعْـظـيـمُ قـدرِ الـنَّـبـيِّ ﷺ بجعْلِ استغاثتِهِ استغاثةَ الأُمَّـة برُمَّتها

جاءَ في السّيرَةِ أنَّ المُسْلِمينَ لمّا نزلوا بَدْرًا، ورأوا كَثْرَةَ المُشْرِكين؛ استغاثوا اللّه سُبحانَهُ، وعلى هذا فتكونُ الاستغاثَةُ في قولِ اللّه تعالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ صادِرَةً من عُمومِ الجَيْشِ، ويكونُ الضَّميرُ - واوُ الجَماعةِ - شامِلًا لهم، فالآيَةُ واردَةٌ على ما يقتضيهِ الظّاهِرُ، ويَجوزُ أن يكونَ المُسْتَغيثُ خصوصَ النَّبيِّ ﷺ، ويدلُّ لذلكَ قولُ عُمَرَ بنِ الخطّاب ﷺ: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهُم ألفٌ، وأصْحابُهُ ثلاثمئةٍ وتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فاسْتَقْبَلَ نَبيُّ اللّهِ ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّه: اللهمَّ أنْجِزْ لي ما وعَدْتَني، اللهمَّ آتِ ما وعَدْتَني، اللهمَّ إنْ تُهْلِكْ هذه العِصابَةَ مِن أهْلِ الإسْلام لا تُعْبَدْ في الأرْض، فما زالَ يَهْتِفُ برَبِّه، مادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِداؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فأتاهُ أبو بَكْرٍ، فأخَذَ رِداءَهُ، فألقاهُ على مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِن ورائِه، وقالَ: يا نَبيَّ اللّهِ، كَفاكَ مُناشَدَتُكَ رَبَّكَ، فإنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ ما وعَدَكَ، فأنْزَلَ اللّهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾»[1]، ويكونُ قد عُبِّر عن استغاثَتِه ﷺ بضمير الجَمْعِ؛ لنكاتٍ[2]: إحداها: تعظيمُ قدرِ النَّبيِّ ﷺ وإعلامٌ برفيعِ منْزِلَتِه، فيكونُ من خِطاب الواحِدِ المُعَظَّم بخِطابِ الجَميع. وثانيها: أنَّ فعلَ الاستغاثَةِ أُسْنِدَ إلى الجميعِ؛ لكونِ النَّبيِّ ﷺ كانَ يَسْتَغيثُ لأجلِ المسلمينَ. وثالثُها: أنَّه ﷺ، كان مُعْلِنًا باستغاثَتِه، وهُم يسْمَعونَ، فكانوا بمنزلَةِ مَنْ يَدْعونَ.

### نُكْتَةُ التَّعْبيرِ باسْمِ الرُّبوبيَّةِ في: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾:

في تعليقِ الاستغاثَةِ باسمِ الرُّبوبيَّةِ في قولِه سُبحانَهُ: ﴿إِذْ

(1) رواه مسلم في صحيحه، برقم: (1763).

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 278/5، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 274/9.

دَفْـعُ العَـوائِـق الـحـائـلـةِ بين كـمـال الإيـمـانِ وأهـلـه مِـن تربيَةِ الله لهم بربوبيَّته

﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ طَلَبٌ لِلْإغاثَةِ باستعطافِ كرَمِه سُبحانَهُ؛ إذْ هو المحسِنُ إليهم بكلِّ إحسانٍ عامٍّ وخاصٍّ[1]، وذلك أنَّ تربيةَ اللهِ سُبحانَهُ لخلْقِه ضَرْبانِ[2]: أحدُهما: تربيَةٌ عامَّةٌ لجميعِ الخَلْقِ؛ وذلك برزقِهم وهدايتهم لِما فيه مصالحُهم التي بها بقاؤُهم في الدُّنيا. والآخَرُ: تربيَةٌ خاصَّةٌ لأهلِ الإيمانِ، وذلك بتوفيقِهم للإيمانِ وتكميلِه لهم، ودَفْعِ الصَّوارِف والعوائقِ الحائلةِ بينَهُم وبينَهُ، والاستغاثَةُ المذكورةُ في الآيةِ مِن هذا الضَّرْبِ؛ لأنَّ بها إزالَةَ العوائقِ الحائلَةِ بينَهُم وبينَ الإيمانِ، وهذا مِن جُملةِ الأسْرارِ في تَعْليقِ الاسْتِغاثَةِ بالاسْمِ الأحْسَنِ (الرَّبِّ)؛ لدخولِ هذا المَطْلَبِ تَحْتَ ربوبيَّةِ اللهِ تعالى الخاصَّةِ.

**دِلالَةُ الجملة الخبريّة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾:**

الاِلـتـجـاءُ إلى اللهِ تَـعـالَى إذا ضاقَتِ السُّبُلُ، وتَـقـاصَـرَتِ الأسْبابُ والعِلَلُ

الجملةُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ جملةٌ خَبَريَّةٌ، خرجَتْ عن أصلِ دلالَتِها؛ إذْ لا يُرادُ بها فائدَةُ الخبرِ، وإنَّما المرادُ تَذْكيرُ استمدادِهم منَ اللهِ سُبحانَهُ والتجائِهم إليه حينَ ضاقَتْ بهمُ السُّبُلُ، وتقاصَرتْ بهِمُ الأسبابُ، فجاءَهُمُ الإمْدادُ منه[3] ﷻ.

**دِلالَةُ (الفاءِ) في: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾:**

سُـرْعَـةُ إجـابَـةِ الـلـهِ تَـعـالَى دُعـاءَ أوليائِه، وتَخْليصِهم مِنَ الشَّدائِد

الفاءُ في ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾ من قولِ اللهِ جلَّ وعلا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، دالَّةٌ على التَّعقيبِ، فأفادَ ذلكَ أنَّ إجابَةَ دعائِهم كانَت في أعقابِ تَضَرُّعِهم واستغاثَتِهم، وهذا من عَظيمِ فضْلِ اللهِ تعالَى ورحمَتِه؛ حيثُ أجارَهُم مِن أعدائِهم، ونصرَهُم عليهم نصرًا مؤزَّرًا مع قِلَّةِ عَدِدهم وضَعْفِ عُدَّتِهم[4]، كما أنَّ هذه الفاء دلَّت على أنَّ نظم الجملة مُشْعِرٌ بالشَّرطيَّة، لربط الاستجابة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 231/8.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 39.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/4.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3076/6، وطنطاويّ، الوسيط: 46/6.

بالاستغاثة على تقدير: إنْ تستغيثوا ربَّكم؛ فيستجِبْ لكم، فهي أشبهُ بالفاءِ الواقعةِ في جوابِ الشَّرط.

**نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بلفظ (الاسْتِجابَةِ) دونَ (الإجابَةِ):**

الاسْتِجابَةُ تقتضي القَبولَ، وتَحْصيلَ منتهى السؤلِ

عُبِّرَ بالاسْتِجابَة دونَ الإجابَةِ في قولِ الله ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ لنُكْتَتَيْن: إحداهُما: أنَّ فيه إشعارًا بأنَّ الله سُبحانَهُ أعطاهُم مَطْلوباتِهم الَّتي سألوها ربَّهُم ﷻ، كأشدِّ ما تكونُ الإجابَةُ[1]؛ وذلكَ لأنَّ الاستجابةَ دالَّةٌ على القَبولِ، بخِلافِ ما لو عُبِّر بالإجابَةِ؛ فإنَّها لا تقتَضي قَبولَ ما دَعَوا به؛ لِكَوْنِ الإجابةِ دالَّةً على مُطْلَقِ الجَوابِ قَبولًا كانَ ذلك أو ردًّا، والأُخْرَى: لِما في الاسْتِجابةِ مِنَ الدِّلالة على حُصولِ جَميعِ مَطْلوباتِهم؛ وذلك لكثْرَةِ مَبانيها، والزِّيادةُ في المَبْنَى تقتَضي غالبًا الزِّيادَةَ في المعنى[2]، فلو جاء النَّظْمُ القرآنيُّ: (فأجابَهم)؛ لاحتمَلَ ذلكَ أنَّ الإجابَةَ - إنْ وقعَتْ بإعْطائِهم مَطْلوباتِهم - هيَ في مُقابَلَةِ مَجْموعِ مَطْلوباتِهم لا جميعِها، بخلاف قولِه تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾؛ فإنَّه دالٌّ على إجابة اللهِ سُبْحانَهُ لِمَطْلوباتِهم كلِّها.

**دِلالَةُ التَّعْبيرِ بـ ﴿لَكُمْ﴾ مِن قَوْلِه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾:**

كَرامَةُ اللهِ تَعالَى لِعِبادِه، رفْعٌ لشأنهم، وعلوٌّ في مكانتهم

في تعقيبِ الاستجابَةِ بلفظ ﴿لَكُمْ﴾ مِن قَوْلِه جلَّ وعلا: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، دِلالَةٌ على الاخْتِصاص، وأنَّ الإجابَةَ كانَتْ لِخُصوصِ أهلِ الإيمانِ مِن ربِّهم سُبحانَهُ، وأنَّهُ لا إجابَةَ لغيرِهم؛ لكونِ أهلِ الإيمانِ على الحقِّ، ويَدْعونَ لِلْحقِّ، وهذا مِن كرامَةِ اللهِ ﷻ لأهلِ الإيمانِ[3]، فاللّام للتَّعليل، وتقديمُ شبه الجملة قد يفيد التَّخصيصَ، أو تعجيلَ المسرَّة.

**دلالةُ الموقع البيانيِّ لقوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾:**

قولُه تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ استئناف بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3076/6.
(2) الشّربينيّ، السّراج المنير: 276/1.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3076/6.

استجابةُ الله تعالى لها صوَرٌ كثيرة، ونماذج في الإمداد أثيرةٌ

مقدَّر: كيف استجاب ﷻ لكم؟ فكانتِ الإجابةُ بأنَّه أمدَّهم بالملائكة، وكانت الاستجابةُ للاستغاثة بقوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾، أي: مُعينكم بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ متتابعين، بعضهم على إثرِ بعضٍ، وهو ما أكَّده الحديث الَّذي رواه البخاريُّ في صحيحه، بعنوان: (باب شهود الملائكة بدرًا)، عن ابن عبّاس ﷺ: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال يوم بدر: هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرَسِه، عليه أداة الحرب»[1].

### بَلاغَةُ الالتِفاتِ في الآية:

مِن عَظيمِ إحْسانِ اللهِ تَعالَى بعِبادِه إقْبالُهُ عليهم بالعَطاءِ

في قولِ الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ التفاتٌ مِنَ الغَيبَةِ إلى التَّكلُّم، وذلك أنَّ قولَهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أسلوبُ غَيْبَة؛ لأنَّ الاسمَ الظّاهرَ بمنزلَةِ الغَيْبَة، وكذلكَ قولُهُ بعدُ: ﴿فَاسْتَجَابَ﴾، ثُمَّ حوِّلَتِ العبارَةُ إلى التَّكلُّم في قوله سُبحانَهُ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾، وكان مقتضَى الظّاهرِ: (فاستجاب لكم أنَّهُ مُمِدُّكُمْ)، ونُكْتَةُ العدولِ من الغَيْبَةِ إلى التَّكلُّم: ما في التَّصريحِ بالتَّكلُّم مِنَ العَظَمَةِ والبرَكَةِ والمهابَة[2]، لا سيَّما في معرض إجابة استغاثتهم.

### سِرُّ التَّأْكيدِ في: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾:

مِن رَحْمَةِ اللهِ تَعالَى بأهْلِ الإيمانِ، تَثْبيتُ قُلوبِهم عند المُلِمّاتِ

أُكِّدَت جملةُ تفسيرِ الاستجابَةِ بـ (أنَّ)، والجملة الاسميَّة، وذكرِ المسند إليه مرَّتيْن: مرَّةً بكونه مبتدأً، ومرَّةً بكونه فاعلًا مُضمرًا للفظ﴿مُمِدُّكُم﴾، فإنَّ مجيء المسند الفعليِّ، يفيدُ تقوية الحُكْم، وقد يفيد التَّخصيصَ بالقرائن، كما هو مقرَّرٌ في علم المعاني، فقولُه سُبحانَهُ: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ تأكيدٌ لحصولِ الوَعْدِ بالإمْدادِ، وطَمْأنَةٌ لِقُلوبِ أهلِ الإيمانِ؛ لِتَثْبُتَ عند لِقاءِ عدوِّهم.

### معاني الحروفِ وأثرُ القراءات في قوله: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

الباء للتَّعديَةِ، وتنكير﴿بِأَلْفٍ﴾ للتَّعظيم، و﴿مِّنَ﴾ للبيان، أي:

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 261/5، والحديث رواه البخاريّ في صحيحه، برقم: (4041).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 232/8.

بألفٍ من جنس الملائكة، و(ال) في ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قد تكون للجنس، وقد تكونُ للعهد، أي: منَ الملائكة المعهودين لهذه المُهِمّاتِ، وفي الحالَين، فإنَّ المددَ الإلهيَّ، هو دعم ربّانيٌّ لمن والاه، وأنَّ اللّه مع الحقِّ والعدل والهدى، والعدد المحدَّد بألف في قوله: ﴿بِأَلْفٍ﴾، هو تذكير بقدرة اللّه على حماية رسوله الأمين، وصفوته من المؤمنين، بما قدَّره، وقرَّره ﷻ.

إمـــدادُ الـلـه لـلـرَّســول والمـؤمـنـين بالملائكة مُردفين مَـظـهـرٌ مِـن مظاهرِ عنايته بهم

### نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالاسْمِ ﴿مُمِدُّكُم﴾:

وفي التَّعبيرِ بالاسْم ﴿مُمِدُّكُم﴾، في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ دونَ الفِعْلِ؛ إذْ لَم يَرِد النَّظْمُ القرآنيُّ: (أنّي أُمِدُّكُمْ)؛ لِلْإشارَةِ إلى ثُبوتِ الإمْدادِ المَذْكورِ وتحقُّقِه[1]، وأنَّه إمْدادٌ مُسْتَمِرٌّ حتَّى يَنْكَشِفَ ما حَمَلهم علَى الاسْتِغاثَةِ.

الإمْـــــدادُ المـتـواصـلُ، بما يَدْفَعُ الشَّدائِد، إحْسانٌ وتلطُّف مـنـه تَـعـالَى بالمؤْمنينَ

### تَوْجيهُ القِراءاتِ في لفظ: ﴿مُرْدِفِينَ﴾:

قَوْلُ اللّهِ ﷻ: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، قُرِئَ بكسر الدّالِ وفَتْحِها، فقرأها بالفَتْح نافعٌ وأبو جعفرَ ويعقوبُ، وقرأ الباقونَ بالكَسْرِ[2]، فالفَتْحُ بمعْنى: أنَّ اللّه سُبحانَهُ أرْدَفَ المُسْلِمين بهم، وأيَّدَهُم بهم، أي: إنَّ الملائِكَةَ كانوا مُقَدِّمَةَ الجَيْشِ أو ساقَتَهُم، أو أنَّ المرادَ: أنَّهُ يُرْدِفُهُم غَيْرَهُم مِنَ المَلائِكَةِ، والكسرُ بمعنَى: أنَّهُم كانوا مُتَتابِعينَ يَأْتي بَعْضُهُم في إثْرِ بَعْضٍ، فتكونُ الألفُ رادِفًا لغيرِهم قبلهمْ[3]، فكانوا خلفهم رِدْءًا لهم، وسواءٌ أكانت الملائكة مردفين منهم تابعين ومتبوعين، أو كانوا مردِفين للمُؤمنين وساقةً للجيش[4]، فإنَّ إمدادَهم بهذا العدد المَهول من الملائكة الَّذين يُمثِّلون

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِـلْـقِـراءاتِ القرآنيَّةِ وأثره في السّياق

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 279/2.
(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 275/2 - 276.
(3) الجاوي، مراح لبيد: 418/1، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 275/9.
(4) أحمد بن عجيبة، البحر المديد: 310/2.

القوَّة الغيبيَّة المدمِّرة، يدلُّ على أنَّ قوانين الله في الوجود قائمةٌ على إظهار الحقِّ، وإزهاق الباطل، وأنَّه تعالى يمهل، ولا يهمل.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### (اسْتَجابَ) و(أجابَ):

الاستجابةُ دالَّةٌ على إعطاءِ جَميعِ المَطْلوباتِ، وهي أخصُّ مِنَ الإجابةِ

الإجابة لغةً تعني: الردَّ على السّائل أو المُسلِّم، أو المحاضر أو المناظر، أو المنادي أيًّا كان، وتكون من طرف لطرف، فإذا وجد الطَّرفُ الأوَّل تفاعلًا من الطَّرف الثّاني، فيكون قد أجابه، وهي نوعان، منها ما يكون ملزمًا، ومنها ما يكون اختياريًّا. وأمّا الاستجابةُ: فهي تحقيقُ مطلوبِ السّائل، ممّا يرغب فيه ويأمله، تقول: طلب فلان منّي كذا، فاستجبتُ لِطَلَبِه، أي: أعطيتُه سؤلَهُ، ولبَّيت له رغبتَهُ، وغالبًا ما يكون ذلك طواعيةً دون إلزام، والإجابةُ من الله: أن يُعطيَ السّائل ما طلبه، باستجابة دعوته، وتلبيَةِ طِلْبته، والاستجابة من العبد امتثالٌ للأوامر، واجتناب للنَّواهي، ممّا أمر الله به من طاعة، وما نهى عنه من معصيةٍ، والفَرْقُ بين الاسْتِجابَةِ والإجابَةِ مِن وجْهَيْن[1]: أحدهما: أنَّ الاسْتِجابَةَ أكثرُ حروفًا مِنَ الإجابَةِ، والزّيادةُ في المَبْنَى تَقْتَضي الزّيادَةَ في المعنى غالبًا، وزيادةُ المعنى هَهُنا مِن جهةِ أنَّ الاستجابَةَ دالَّةٌ على إعطاءِ جَميعِ المَطْلوباتِ. والآخَرُ: أنَّ الاستِجابةَ أخصُّ مِنَ الإجابةِ؛ لِكَوْنِ الاسْتِجابةِ: الجوابَ بما يوافِقُ الدّاعي، بخِلافِ الإجابةِ، فقد تَكون بموافَقتِه، وقد تَكونُ بمُخالَفتِه.

### الاسْتِغاثَة والدُّعاء:

كلُّ استغاثَةٍ دعاءٌ، وليس كلُّ دعاءٍ استغاثَةً

بين الاستغاثَةِ والدُّعاءِ عمومٌ وخصوصٌ مُطْلَقٌ، وذلك أنَّ الاستغاثَةَ لا تكونُ إلّا مِنَ المكروبِ، بخلافِ الدُّعاءِ فإنَّه أعَمُّ، فكلُّ استغاثَةٍ دعاءٌ، وليس كلُّ دعاءٍ استغاثَةً[2]، وعليه فالاستغاثة تكون

(1) الواحديّ، البسيط: 109/8، 362/13، والشّربينيّ، السّراج المنير: 276/1، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 202/4.

(2) العرباوي، التّخلّي عن التقليد والتّحلّي بالأصل المفيد، ص: 90.

عادة من صاحب كَرْب ثقيل، أو جسم عليل، أو ذهن كليل، وهو يجأر إلى الله، ويطلب أن يزيحَ عنه الهمَّ، ويزيل عنه الضَّيمَ، والدُّعاء أعمُّ من الاستغاثة؛ لأنَّه يكون في حالَي البلاء والرَّخاء، والاستغاثة لا تكون إلّا في حال الكَرْب[1]، وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يَسْتَجيبَ اللهُ لَهُ عند الشَّدائِدِ والكَرْبِ؛ فلْيُكْثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخاءِ»[2].

### الاسْتِغاثَة والاسْتِعانَة:

طالبُ الغَوْثِ مسلوبُ القُدْرَةِ، وطالبُ العَوْنِ ضَعيفُها

الاستغاثةُ: طَلَبُ الغَوْثِ، وهو الإنقاذُ من الشِّدَّةِ والهَلَكَةِ. والاستعانَةُ: طَلَبُ العَوْنِ، فهُما يشتَرِكانِ في مُطْلَقِ الطَّلَبِ، ويندرجانِ في عُمومِ الدُّعاءِ، إلّا أنَّ الفرقَ بينَهُما مِن جِهَةِ أنَّ طالبَ الغَوْثِ مسلوبُ القُدْرَةِ، وطالبَ العَوْنِ ضَعيفُها[3]، فالاستعانة والاستغاثة بالمخلوق على نوعين: أحدهما: فيما يَقْدِر عليه، وهذا جائز، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: 2]، وقال: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: 15]. وثانيهما: فيما لا يَقْدِرُ عليه إلّا الله: كالاستعانة بالأموات، والاستغاثة بالأحياء، والاستعانة بهم فيما لا يَقْدِرُ عليه إلّا الله، من شفاء المرضى، وتفريجِ الكربات، ودفع الضُّرِّ، وهو غير جائز[4].

(1) أحمد حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد: 3/13.
(2) رواه التّرمذيّ في سننه، برقم: (3382)، وقال عنه الألبانيّ: إنَّهُ حديث حسن، ينظر: سلسلة الأحاديث الصّحيحة رقم: (593).
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 298/2.
(4) الفوزان، كتاب التّوحيد، ص: 101.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»